العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد

دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم[1]

دكتـــور
صلاح يعقوب يوسف
قسم التفسير والحديث
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

(١) البحث مدعوم من: «قطاع الأبحاث بجامعة الكويت» برقم: «HH03/22».

العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم

د/صلاح يعقوب يوسف.

قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت.

البريد الإلكتروني:salah.abdullah@ku.edu.kw

الملخص:

يقوم البحث على ترتيل الآيات التي ورد فيها السمع والبصر والفؤاد، للوقوف على دلالة هذه الحواس، والحكمة العظيمة من وراء اقتران بعضهم ببعض. وتبين أن السمع وظيفة لحاسة الأذن، وذُكر مع مشتقاته وتصاريفه ١٤٥مرة فقط، وأن البصر وظيفة لحاسة العين وذكر مع مشتقاته وتصاريفه ١٤٨مرة. واجتمع وظيفتي السمع والبصر في ٣٨ آية، وترافق الصمم مع العمى في ثمان آيات. واقترنت الوظائف الثلاث في ست آيات، جاء السمع في جميعها مفردا، والبصر جمعا، وكذا الفؤاد إلا في آية واحدة. وجاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم السمع والبصر والفؤاد في اللغة والاصطلاح، والمبحث الثاني: العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد، والمبحث الثالث: وظائف السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم، والمبحث الرابع: الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم. وخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وأهم المصادر والمراجع.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي).

النتائج: التي توصل إليها الباحث: بيان الإعجاز العلمي في تقديم السمع على البصر، وأن السمع حيث ورد فمفرد، والآيات التي ذكرت الأعضاء

"الأذن، والعين" وردت في محتوى يناسبها وجنسها دون التعرض للوظائف.

ويرى الباحث: أن الفؤاد هو الإدراك المشخص بالحواس، وعليه مدار التكليف.

التوصيات: إعداد دراسة علميَّة تجمع الأحكام المتعلقة بالظائف الثلاث – السمع والبصر والفؤاد– .

الكلمات المفتاحية: العلاقة– السمع– البصر– الفؤاد– القرآن– الأحكام.

Abstract of the research
The relationship between hearing, sight and the heart: an analytical study in the light of the Holy Quran
.Salah Yaqoub Yousef
Department of Interpretation and Hadith, College of Sharia and
.Islamic Studies, Kuwait University
Email: salah.abdullah@ku.edu.kw
:Abstract
The research is based on reciting the verses in which hearing, sight and heart were mentioned, to understand the significance of these senses and the great wisdom behind their association with each other. It was found that hearing is a function of the sense of the ear, and was mentioned with its derivatives and conjugations only 145 times, and that sight is a function of the sense of the eye, and was mentioned with its derivatives and conjugations 148 times. The functions of hearing and sight were combined in 38 verses, and deafness was accompanied by blindness in eight verses. The three functions were associated in six verses, hearing was mentioned in the singular in all of them, and sight was mentioned in the plural, as was the heart except for one verse. The research came in an introduction and four sections: The first section: The concept of hearing, sight and heart in language and terminology, the second section: The relationship between hearing, sight and heart, the third section: The functions of hearing, sight and heart in the Holy Quran, and the fourth section: The rulings related to hearing, sight and heart in the Holy Quran. Conclusion: It contains the most important results reached by this research, and the most important sources and .references
Methodology: I followed the integrative method in this research (the inductive method, the analytical method, and the deductive .(method
Results: What the researcher reached: Clarification of the scientific miracle in presenting hearing over sight, and that hearing wherever it appeared is singular, and the verses that mentioned the organs "ear, eye" appeared in a content that suits them and their gender without addressing the functions. The researcher believes that the heart is the perception characterized by the senses, and it is the basis of the .assignment
Recommendations: Preparing a scientific study that collects the . - rulings related to the three functions - hearing, sight and heart
.Keywords: Relationship - hearing - sight - heart - Quran - rulings

المقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

من آيات الله الكونية الدالة على عظمته، ومن تطابق آيات القرآن مع خلق الإنسان ما يؤكد أن هذا القرآن من عند الله تعالى، وأن هناك تطابقا عجيبا، وأبديا، وسرمديا بين ما جاء في القرآن، وما جاء في معطيات العلم، يقول ربنا سبحانه وتعالى: {**إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**}الإنسان: ٢ .

ومن الحكم المأثورة عن بعض العلماء: "السمع أخطر في حياة الإنسان من البصر"(١)؛ لأن الإنسان يتلقى الأصوات من الجهات الست، عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن ورائه، ومن فوقه، ومن تحته، في الظلام والنور، وفي الليل والنهار، وعلى الرغم من الحواجز الكتيمة فإن السمع يصل إلى أذنك، فكأن السمع يغطي البيت كله، فإن كنت نائما، وسمعت حركة في غرفة الضيوف، انتقلت إليها، أما عينك فلا تريك إلا أطراف غرفة النوم، وإن كنت تقود سيارة فلا ترى إلا الذي أمامك، إما إن كان ثمة خلل في المحرك، أو العجلات، فالصوت يصل إلى أذنك، فتقف في الوقت المناسب، هذه بعض توجيهات العلماء تبين أن السمع أخطر من البصر. لأهمية هذه الحواس، والأحكام، والآثار المترتبة عليها، قمت بعمل هذا البحث ووسمته "العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم".

---

(١) صادق الهلالي، الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم (ص١٩).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

١) أهمية السمع والبصر والفؤاد في حياة الإنسان.

٢) البحث عن حكمة الله عز وجل في تقديم السمع على البصر.

٣) معرفة وظائف كل من السمع والبصر والفؤاد.

٤) الوقوف على الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

١) ما مفهوم كل من السمع والبصر والفؤاد في اللغة والاصطلاح؟

٢) ما وظيفة كل من السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم؟

٣) ما الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم؟

٤) ما العقوبات المرتبة على مخالفة تلك الأحكام في القرآن الكريم؟

الأهداف:

تتجلى أهداف البحث إلى إبراز الإجابة على الأسئلة السابقة.

١) تحديد مفهوم كل من السمع والبصر والفؤاد في اللغة ودلالة كل منها في الاصطلاح.

٢) الوقوف على وظيفة كل من السمع والبصر والفؤاد من خلال القرآن الكريم.

٣) معرفة الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم.

٤) بيان العقوبات المرتبة على مخالفة تلك الأحكام في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات السابقة التي تحدثت عن السمع والبصر، من الناحية الدلالية، والإعجازية، والطبية، لكن لم أقف على دراسة تحدثت عن العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد والأحكام المتعلقة بهذه الوظائف. ومن الدراسات التي تناولت السمع والبصر، ما يلي:

- "الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم"، إعداد صادق الهلالي، وحسين رضوان. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. الطبعة: الثالثة. ٢٠٠٦م. قاما الباحثان بجمع واستقراء الآيات التي تتحدث عن السمع والبصر، والعين والأذن. مع ربط الحواس والوظائف من حيث الزمان، والتكليف، والحقائق العلمية المتعلقة بذلك. لكن الحلقة المفقودة بينه وبين بحثي هي ارتباط السمع والبصر مع الفؤاد والأحكام المتعلقة بتلك الوظائف.
- "أقوال المفسرين والخبير الأطباء عن ترتيب كلمات –السمع والبصر والفؤاد–". بحث مجهول المؤلف نشر على أحد المواقع الالكترونية. يتحدث عن الوظائف دون التطرق إلى الحواس، والأحكام المتعلقة بالوظائف.
- "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد"، إعداد صادق الهلالي. زاد فيه عن البحث السابق الفؤاد. لكنه خلا عن ذكر الأحكام المتعلقة بهم.
- "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم آيات السمع والبصر أنموذجا"، إعداد محمد ضياء الدين إبراهيم. مجلة التربية للعلوم الإنسانية. كلية الإمام الأعظم الجامعة. ٢٠٢٣. تحدث فيه عن الحكمة من إفراد السمع في القرآن وجمع وإفراد البصر. والدلالات العلمية المتعلقة بهما في سياق القرآن، والدلالات العلمية في تقديم السمع على البصر، وكذلك تقديم

البصر على السمع. لكنه خلا عن الحديث عن الفؤاد والأحكام الفقهية المتعلقة بالوظائف وهو ما يمتاز به بحثي.

- "الإعجاز العلمي في تقديم السمع على البصر"، إعداد عادل الصعيدي، بحث منشور بموقع جامعة الإيمان. اقتصر الحديث فيه عن الدلالة العلمية في تقديم السمع على البصر باعتبارهما حواس وليس وظائف. دون التطرق إلى الفؤاد والأحكام المتعلقة بالوظائف.
- "خلق حاستي السمع والبصر" مقال منشور بمنتدى الحوار الإسلامي المسيحي.
- "معجزة السمع" إعداد محمد السقا عيد. بحث منشور بموقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إلى غير ذلك من الدراسات التي اعتنت بالحديث عن الإعجاز العلمي للسمع والبصر والفؤاد، إلا أن جميع هذه الدراسات خلت عن ذكر الأحكام المتعلقة بتلك الوظائف.

منهج البحث:

التزمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي: القائم على استقراء آيات السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم. والمنهج الاستنباطي: القائم على استنباط الأحكام والفوائد والآثار من تلك الآيات. والمنهج التحليلي: القائم بتحليل كل من تلك الوظائف والدور المنوط بها.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة.

واشتملت المقدمة على أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: بعنوان " مفهوم السمع والبصر والفؤاد في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد.

المبحث الثالث: وظائف السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج، وثبت المراجع.

المبحث الأول

مفهوم السمع والبصر والفؤاد في اللغة والاصطلاح

أولا: مفهوم السمع في اللغة والاصطلاح

السمع في اللغة: مصدر للفعل سَمِعَ، فالسين والميم والعين أصل واحد، كما قال ابن فارس(١)، ويأتي واحدا وجمعا، وهو إيناس الشيء بالأذن، من الناس وكل ذي أذن. وبكسر الميم أي الصيت والذكر الجميل، كما قال الجوهري (٢).

السمع في الاصطلاح: عرفه الجرجاني بقوله: "هو قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ"(٣). وعند الراغب هو عبارة عن قوة في الأذن به يدرك الأصوات(٤).

ثانيا: البصر في اللغة والاصطلاح:

البصر في اللغة: يعبر عنه بحاسة الرؤية، والعلم، والتأمل والتعرف، والإيضاح، والإضاءة، فالباء والصاد والراء أصلان كما قال ابن فارس،

---

(١) القزويني، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر ١٩٧٩)، ج:٣، ص:١٠٢.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨٧)، ط:٤. ج:٣، ص:٢٣١.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ط:١، ص١٢١.

(٤) الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، الدار الشامية، ١٤١٢هـ)، الطبعة: الأولى، ص٤٢٥.

أحدهما العلم بالشيء، والآخر الغلظة، ومنه سميت البصرة[١].

البصر في الاصطلاح: عرفه الجرجاني بقوله: " هو القوة المودعة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان، فيتأديان إلى العين تدرك بها الأضواء والألوان والأشكال"[٢].

وعند الراغب: " النور الذي تدرك به الجارحة المبصرات"[٣].

وعند الكفوي هو: " قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجامدية من أشباح صور الأجسام بتوسط المشف"[٤].

هذا في حق المخلوقات، لكن في حق الله تعالى فيطلق البصر على "الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات"[٥].

ثالثا: الفؤاد في اللغة والاصطلاح:

الفؤاد في اللغة: مصدر للفعل فأد، فالفاء والألف والدال أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة[٦]. ويطلق على القلب إذا اعتبر فيه معنى

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ج٢، ص٥٩١. مقاييس اللغة، لابن فارس، ج:١، ص: ٢٥٣. الرازي، أبو عبد الله محمد، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ط:٥، ص٣٥.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص٤٦.

(٣) المفردات، الراغب، ص١٢٧.

(٤) الكفوي، أبو البقاء أيوب، الكليات، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، (مؤسسة الرسالة – بيروت)، ص٢٤٧.

(٥) الجزري، ابن الأثير المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ)، ج:١، ص: ١٣١.

(٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج:٤، ص:٤٦٩.

التفؤد، يقال: فأدت اللحم شويته[١]. والمفؤود: الذي أصيب فؤاده بوجع. يقال: فئد الرجل فهو مفؤود، وفأدته إذا أصبت فؤاده[٢].

هناك بعض اللغويين من يطلق الفؤاد على القلب حملا على الترادف، ومنهم من يقول أن القلب أخص من الفؤاد، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**أَتَاكُم أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ قلوباً وألينُ أَفْئِدَة وأبخعُ طَاعَة**"[٣]. فوصف القلوب بالرقة، والأفئدة باللين[٤]. ويرى العسكري أن أهل الحديث هم من يجعلون القلب أخص، أما أهل اللغة فلم يفرقوا بينهما، بل عرفوا كلا منهما بالآخر[٥].

الفؤاد في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي للفؤاد، ومن خلاله أستطيع القول بأن الفؤاد هو" الإدراك المشخص بحاستي السمع والبصر، أو هو صاعق الفكر لأن محله العقل، كما قال الطاهر بن عاشور: "وأصله القلب. ويطلق كثيرا على العقل وهو المراد هنا"[٦].

---

(١) المفردات، الراغب، ص٦٤٦.

(٢) النهاير في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج:٣، ص:٤٠٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (١٧٣/٥) رقم (٤٣٨٨)، ومسلم كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان، ج: ١، ص: ٧٢، رقم (٥٢).

(٤) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس، المحقق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ج: ٨، ص: ٤٧٧.

(٥) العسكري، الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية=الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، (قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٢هـ) ص٤٣٣.

(٦) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤)، ج: ١٤، ص: ٢٣٢.

المبحث الثاني

العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد

السمع وظيفة لحاسة الأذن، والبصر وظيفة لحاسة العين، والفؤاد وظيفة لحاسة القلب والعقل، وهذه الوظائف الثلاث تجمعها علاقة قوية، إذ هي وسيلة اتصال الإنسان بالعالم الخارجي، و٩٥% من المعلومات يتحصل عليها من خلالها، وفاقد الحاسة منها يعد معاقا، بخلاف غيرها من الحواس الخمس، ففاقد الذوق ليس معاقا. لذا اهتم القرآن الكريم بهذه الحواس أكثر من غيرها، فذكرت وظيفة السمع ومشتقاتها وتصاريفها ١٨٥مرة فقط، بينما وردت وظيفة البصر ومشتقاتها وتصاريفها ١٤٨مرة فقط.

وحيثما وردت كلمة السمع في القرآن الكريم عنت دائما سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات، بينما لم تعن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في ٨٨حالة فقط، إذ إنها دلت في باقي المرات على التبصر العقلي والفكري بظواهر الكون والحياة، أو ما يتلقاه المرء ويسمعه من أقوال(١).

واجتمع السمع والبصر في ٣٨ آية، وترافق الصمم مع العمى في ثمان آيات سبق في معظمها الصمم على العمى، ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم إذا تحدث عن الوظيفة قدم السمع على البصر، وإذا تحدث عن الحاسة قدم العين على الأذن في غالب القرآن، كقوله تعالى ﴿**وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ** ﴾الأعراف: ١٧٩.

---

(١) صادق الهلالي، الإعجاز في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم، (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ٢٠٠٦)، ط: ٣، ص١٣.

وقد اقترنت الوظائف الثلاث في ست آيات، جاء السمع في جميعها مفردا، والبصر جمعا، وكذا الفؤاد إلا في آية واحدة. وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ النحل: ٧٨.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا** ﴾الإسراء:٣٦.

قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾ المؤمنون: ٧٨.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**﴾السجدة:٩.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ**﴾ الأحقاف:٢٦.

قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**﴾الملك:٢٣.

وحكمة ذلك – والله أعلم – أن الفؤاد تتعدد أحواله، كما أنَّ البصر تتعدَّد مدركاته، فهو يجيش بألوان من العواطف، وتنبعث فيه ضروب من المشاعر والانفعالات.

فالسمع والبصر أعظم آلات الإدراك إذ بهما إدراك أهم الجزئيات، وهما أقوى الوسائل لإدراك العلوم الضرورية. فالمراد بالسمع: الإحساس الذي به إدراك الأصوات الذي آلته الصماخ، وبالإبصار :الإحساس المدرك للذوات الذي آلته الحدقة. واقتصر عليهما من بين الحواس لأنهما أهم، ولأن بهما إدراك دلائل الاعتقاد الحق.

ثم ذكر بعدهما الأفئدة، أي العقل مقر الإدراك كله، فهو الذي تنقل إليه الحواس مدركاتها، وهي العلم بالتصورات المفردة(١). لأنه من المناسب أن يذكر الحق سبحانه السمع والأبصار والأفئدة بعد الحديث عن مسألة الخلق؛ لأن الإنسان يولد من بطن أمه لا يعلم شيئا، وبهذه الأعضاء والحواس يتعلم، ويكتسب المعلومات والخبرات.

وهذه الأعضاء ضرورية لوجود الإنسان الخليفة في الأرض، وبها يتعايش مع غيره، ولا بد له من اكتساب المعلومات، وإلا فكيف سيتعايش مع بيئته(٢).

ومن عجائب الأداء البياني في القرآن أن كلمة أسماع يقابلها أبصار، وفي هذه المقابلة يكون السمع مفردا، والبصر جمعا، إلا في قوله تعالى ﴿**إِنَّ السمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا**﴾الإسراء:٣٦. فجاء البصر مفردا في هذا السياق، والسبب في ذلك يرجع في كون الآية تتحدث عن المسئولية، والمسئولية واحدة ذاتية لا تتعدى، فلا بد أن يكون واحداً(٣).

فالعلاقة بينهم علاقة تكليف ومسؤولية، بها يكلف، وبها يكون مسؤولا عنها، وما يترتب على مخالفة ما كلف من خلالها.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١٤، ص: ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (مطابع أخبار اليوم)، ص٤١٥.

(٣) أقوال المفسرين والخبير الأطباء عن ترتيب ذكر كلمات "السمع والبصر والفؤاد. بحث منشور على شبكة الانترنت.

المبحث الثالث

وظائف السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم السمع والبصر والفؤاد، والعين والأذن، وبالتدبر نجد أن السمع والبصر والفؤاد وظائف لا علاقة لهم بالحواس، وإنما تدل هذه الوظائف على التفكر والفهم والتدبر، بينما العين الآدمية والأذن لا تعنيان إلا الحواس، في جميع آيات الذكر الحكيم.

وبتتبع هذه المسألة وجدت الفصل العجيب بين أعضاء الحس (الأذن والعين)، وقوة الإدراك (السمع والبصر)، فالآيات التي ذكرت الأعضاء جاءت في محتوى يناسبها من جنسها، دون التعرض للوظائف –السمع والبصر–. ومن الأمثلة على ذلك:

- **العين.**

قال تعالى: ﴿**تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ**﴾المائدة:٨٤. ففيض الدمع قرينة دلت على أن العين المراد بها الجارحة، قال إسماعيل حقي: "المعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية بصرية"(١).

وقال الطاهر بن عاشور: "تفيض من الدمع معناه يفيض منها الدمع لأن حقيقة الفيض أن يسند إلى المائع المتجاوز حاويه فيسيل خارجا عنه"(٢). وقال سيد قطب: " هذا مشهد حي يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس، الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا.. إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه"(٣).

---

(١) الخلوتي، إسماعيل حقي، روح البيان. (بيروت، دار الفكر)، ج: ٢، ص: ٢٤٩.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٧، ص١٠.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت، دار الشروق، ١٤١٢هـ)، ط: ١٧، ج: ٢، ص: ٩٦٢.

وقال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾يوسف:٨٤. ابيضاض العين من كثرة الحزن، قرينة دلت على أن العين المراد بها الحاسة.

قال الفخر الرازي: "عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء ... والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا "(١).

وقال تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾الأحزاب:١٩. القرينة في هذه الآية هي الدوران وصورة الذي يغشى عليه من الموت، وكلها أمور حسية.

قال ابن عاشور: " والدور والدوران: حركة جسم رحوية- أي كحركة الرحى- منتقل من موضع إلى موضع فينتهي إلى حيث ابتدأ"(٢).

وقال صاحب الظلال: " وهي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار "(٣).

وعن قدرة الله في تكوين حاسة العين للإنسان يحدثنا الدكتور حامد أحمد حامد فيقول: "وإنما هو جدير بالذكر، أن العين تتكون من الجلد والمخ تشهد بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، لقد جاء أطباء علم الأجنة أن المخ يرسل من الجزء الأمامي له ما يشبه الساق المجوفة إلى سطح الجلد على كل من

---

(١) الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ط:٣، ج: ١٨، ص: ٤٩٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج: ٢١، ص: ٢٩٧.

(٣) في ظلال القرآن سيد قطب، ج: ٥، ص: ٢٨٤٠.

الجانبين حتى تأخذ شكل حويصلة الإبصار على سطح الجلد، وحينئذ يتحدب طرف هذا الساق المجوفة إلى الداخل فيتحول شكله الحويصلى إلى تجويف يشبه تجويف الكوب، وتصبح جوانب هذا التجويف بداية الشبكية وقاع العين، وفي نفس الوقت تصدر الأوامر للجلد لينتش فقاعة من الجلد في منتصف فوهة الكوب لتكون عدسة العين. أما الجلد الأمامي لهذه العدسة فيتحول إلى غشاء رقيق شفاف وهو القرينة، ويتحول الجلد المحيط داخليا بالعدسة إلى القزحية، وأخيرا ينتش الجلد في هيئة طيات على جانبي العين ليكون الجفون وتنمو هذه الجفون العليا والسفلى معا مع بداية الأسبوع الثاني عشر، وتبقى الجفون ملتصقة حتى بداية الشهر السابع لتحمي سبكة العين خلال هذه الفترة من أي ضرر قد يلحق بها من جراء تسرب أي ضوء خارجي، فسبحان الله ولا إله إلا الله الذي أحسن كل شيء خلقه"[١].

- **الأذن:**

قال تعالى ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾التوبة:٦١. هذه الآية تؤكد على أن ذكر الحاسة تأتي في معرض الحديث عما يناسبها، ففي هذه الآية الكريمة التي ذكر الله فيها اتهام المنافقين وغيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم –وحاشاه– بأنه أذن أي يقبل كل قول، دون التمييز بين الحسن والقبيح، والخير والشر، قال الزمخشري: "الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سمى بالجارحة التي هي آلة السماع"[٢].

---

(١) صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ج: ١، ص: ٦٦.

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ط:٣، ج: ٢، ص: ٢٨٤.

ولم يأت في الآية بلفظ"سماع" كما في قوله تعالى ﴿**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾التوبة: ٤٧. لأن لفظ "سماعون" تقتضي التدبر والتفكر والتعقل بما يلقى على حاستي السمع وهي الأذن، قال المراغي: "أي وفيكم ناس من ضعفاء الإيمان أو ضعفاء العزم يسمعون كلامهم، فإذا ألقوا إليهم شيئا مما يوجب ضعف العزائم قبلوه وفتروا بسببه عن القيام بأمر الجهاد كما ينبغى"(١).

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى ﴿**فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً**﴾الكهف:١١. فسياق الآيات تتكلم عن أصحاب الكهف، وقد استغرق نومهم ثلاثمائة من السنين وازدادوا تسعا، ولكي يتم لهم ذلك تم الضرب على آذانهم، فتبين من السياق أنه الحاسة. قال المراغي: "فضربنا على آذانهم حجابا يمنعهم السماع، وأنمناهم نوما لا ينبههم فيه مختلف الأصوات فى الكهف سنين كثيرة معدودة"(٢).

وقال ابن عاشور: "والضرب على الآذان كناية عن الإنامة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع، لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان. وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز"(٣).

ومن الشواهد قوله تعالى ﴿**كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً**﴾لقمان:٧. والوقر ثقل يمنع من السماع، قال ابن عطية: "والوقر في الأذن الثقل الذي يعسر إدراك

---

(١) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي. (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ١٩٤٦)، ط: ١، ج: ١٠، ص: ١٣١.

(٢) المرجع السابق ج: ١٥، ص: ١٢٢.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج: ١٥، ص: ٢٨٦.

المسموعات"[١].

أما الآيات التي تحدثت عن قوة الإدراك، والتي هي وظائف للأعضاء السابقة ، فقد وردت في سياق التدبر، والتفكر، والتعقل، والتفهم. ودائما ما يقترن السمع والبصر، ولم يضف معهما الفؤاد إلا في المواضع الست التي سبق ذكرها، ولم تأت آية قرن فيها السمع مع العين، ولا البصر مع الأذن، ومن الآيات الدالة على تلك الوظائف:

قوله تعالى ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾النحل:٧٨.

وقوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾المؤمنون:٧٨.

وقوله تعالى﴿**ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾السجدة:٩.

وقوله تعالى ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**﴾الملك:٢٣.

وظيفة السمع

من المعلوم أن أول حاسة من حواس الإنسان تبدأ وتكتمل في التكون هي حاسة السمع، حيث يحدثنا علم الأجنة أن بداية تخلق الأذن الداخلية يكون في اليوم الثاني والعشرين من عمر الجنين بينما طوله ١،٥إلى ٢مليمتر فقط وتستمر هذه في النمو حتى تصل إلى كمالها وحجمها النهائي كما هو عند البالغين في منتصف فترة الحمل تقريبا وذلك في الأسبوع ٢٢-٢٠

---

(١) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ط:١، ج: ٤، ص: ٣٤٦.

وبذلك تكون الحاسة الأولى في ابتداء الخلق وفي كمال الخلق[١].

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»[٢].

قال الشافعي والجمهور: " هما عضوان مستقلان لا من الرأس ولا من الوجه"[٣]. وقال المباركفوري: "تخصيص بعد تعميم أي فتحهما وأعطاهما الإدراك وأثبت لهما الإمداد بعد الايجاد"[٤].

وثبت علميا أن الأذن الداخلية للجنين تتحسس للأصوات في الشهر الخامس، ويسمع الجنين أصوات حركات أمعاء وقلب أمه، وتتولد نتيجة هذا السمع إشارات عصبية سمعية في الأذن الداخلية، والعصب السمعي والمنطقة السمعية في المخ، يمكن تسجيلها بآلات التسجيل المختبرية"[٥].

قال الدكتور حامد أحمد حامد عن الأذن: "أما الأذن فتنشأ مع بداية الأسبوع الرابع حيث تبدأ بدايات الأذن الداخلية في الظهور نتيجة تطور فقاعة من الجلد تنثنى للداخل على جانبي الجزء الخلفي للمخ، ومع بداية الأسبوع الخامس تتكون الأذن الخارجية مع قناة السمع والجزء الخارجي

---

(١) أقوال المفسرين والخبير الأطباء عن ترتيب ذكر كلمات "السمع والبصر والفؤاد. (بحث منشور على شبكة الانترنت). ص١٩.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب الدعاء في صلاة الليل (٧٧١).

(٣) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ط:٢، ج: ٦، ص: ٦٠.

(٤) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج: ٣، ص: ١٤٨.

(٥) Ruch, T. & H.D. Patton: Vide Supra P.413-417

لغشاء الطبل". فكأن الجلد ينشق عن حاستي السمع والبصر انشقاقا بعد أن يتم تخليقها تحت الجلد. فضل الله على محمد رسول الله الذي أشار ذلك منذ أربعة عشر قرنا. والله أعلم وأحكم(١).

وحاسة العين تختلف عن حاسة الأذن من ناحية النمو، فحاسة العين ضعيفة جدا عند الولادة، حتى لا تكاد معدومة، ويصعب على الطفل التمييز بين الضوء والظلام، ولا يرى إلا صورا مشوشة للمرئيات، وتتحرك عيناه دون تركيز، ويبدأ التمييز في الشهر الثالث أو الرابع، وفي الشهر السادس يستطيع التفريق بين وجوه الأشخاص(٢).

وظيفة البصر:

البصر مع السمع مما يمتاز بهما الإنسان، وهما النوافذ التي يطل منها على العالم الخارجي ويتلقى منه المدركات ويكيف وجوده حسب الأخبار التي تصل إليه من العالم الخارجي، ولذا ورد ذكر هاتين الحاستين في القرآن أكثر من غيرهما(٣).

فالعين جهاز معقد، تم تجميعها من عيون الحساسة وبقع الخفيفة على سطح اللافقاريات(٤) البدائية، فيها غمد واقية، ولديها طبقة مستقبلات أي نظام عدسة لتركيز الضوء وهي الجهاز العصبي لتقديم النبضات إلى

---

(١) صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١). ج: ١، ص: ٦٥- ٦٦،

(٢) Noback, C.R. & R.J. Demarest: Vide Supra P.147

(٣) خالص جلبي كنجو، الطب محراب الإيمان. ص٢٠٢.

(٤) هذا المصطلح صاغه جان باتيست لامارك، ليصف الحيوانات التي لا تمتلك عمودا فقريا. انظر: أمين المعلوف. (١٩٨٥)، معجم الحيوان (بالعربية والإنجليزية). (ط.٣) بيروت: دار الرائد، (ص١٣٣).

الدماغ وتشكيل صورة رؤية(١).

وفي التطور الجنيني للافقاريات تنشأ شبكية العين والعصب البصري كنموات للدماغ النامي، وتحديدا الدماغ البيني الجنيني، وتعتبر شبكية العين جزءا من الجهاز العصبي المركزي، وهي في الواقع أنسجة دماغية(٢).

وعليه فلا تقتصر وظيفة البصر على حاسة العين، لذا جاء الأمر بغضه، لا بغض العين، كما في قوله تعالى ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ...** ﴾، وقال تعالى ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ**﴾ النور:٣٠، ٣١.

فأمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وليس في الآية استثناء للأعمي، ولم يقل أحد بخروج الأعمى من الخطاب، فاقتضى ذلك الدلالة على كون البصر وظيفة.

ومما يؤكد على ذلك أيضا آيات كثيرة تتحدث عن أناس كاملي حاسة العين، لكنهم عمي لا يبصرون، قال تعالى ﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾البقرة:١٧-١٨. وقال تعالى ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾الرعد:١٦. وقال تعالى ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ**﴾ فاطر:١٩.

هذه الآيات وغيرها تؤكد على أن البصر وظيفة لحاسة العين سواء كانت عاملة أم عاطلة. وهو عبارة عن التفكر والتدبر والتأمل، فناسب الأمر بغضه في الآيات السابقة، وله الخطاب، وعليه التكليف. وتأويل المفسرين

---

(١) سيف الدين، تشريح جسم الإنسان لطلاب التمريض. (جاكرتا، ساليمبا مديك، ٢٠٠٩). ص٣٧.

(٢) مقال بعنوان "شبكية العين" على موقع ويكيبيديا الالكتروني.

يبين هذا المعنى في آيات الأعمى والبصير، أي المؤمن والمشرك[١]، والجاهل والعالم والمؤمن والكافر. قال الرازي: "الأعمى يشارك البصير في إدراك ما. والكافر غير مدرك إدراكا نافعا فهو كالميت"[٢].

وظيفة الفؤاد

يرى بعض العلماء أن القلب والفؤاد بمعنى واحد كأبي هلال العسكري والجوهري[٣]، ويرى بعضهم أن أحدهما أخص من الآخر؛ كالخطابي والنووي وابن حجر والعيني فيرون أن الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه[٤].

أما قلب الجسد فهو من أعجب ما خلق الله، فهو مضخة مزدوجة تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية، ونسيج، وعضو، وجهاز، عن طريق شبكة من الأوعية يزيد طولها عن مئة وخمسين كيلو متر. ويعمل منذ الشهر الثاني من حياة الجنين، وحتى يحين الأجل، لا يغفل ولا يغفو، لا ينسى ولا يسهو، ولا يقعد ولا يكبو، ولا يمل ولا يشكو، يعمل من دون راحة، ولا مراجعة، ولا صيانة، ولا توجيه[٥].

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير (٤٩٠/٢)،

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٦/١٩)، (٢٣٢/٢٦). البيضاوي، أنوار التنزيل (٢٥٧/٤). ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٠٣/١).

(٣) أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، الفرق بين القلب والفؤاد (٤٣٣/١). الجوهري، الصحاح تاج اللغة (٥١٨/٢).

(٤) انظر: معالم السنن (٢٢٤/٤)، المنهاج شرح مسلم بن الحجاج (٣٤/٢)، فتح الباري (١٠٠/٨)، عمدة القاري (٥٠/١).

(٥) أقوال المفسرين والخبير الأطباء عن ترتيب ذكر كلمات "السمع والبصر والفؤاد. ص٣١.

إذن القلب له إدراك والفؤاد له إدراك آخر وهو إدراك اقتران أحد المعلومين بالآخر، وهو التصديقات المنقسمة إلى البديهيات: ككون نفي الشيء وإثباته من سائر الوجوه لا يجتمعان، وككون الكل أعظم من الجزء. وإلى النظريات وتسمى الكسبيات، وهي العلم بانتساب أحد المعلومين إلى الآخر بعد حركة العقل في الجمع بينهما أو التفريق، مثل أن يحضر في العقل: أن الجسم ما هو، وأن المحدث– بفتح الدال– ما هو. فإن مجرد هذين التصورين في الذهن لا يكفي في جزم العقل بأن الجسم محدث بل لا بد فيه من علوم أخرى سابقة وهي ما يدل على المقارنة بين ماهية الجسمية وصفة الحدوث(١).

فالعلوم الكسبية لا يمكن اكتسابها إلا بواسطة العلوم البديهية. وحصول هذه العلوم البديهية إنما يحصل عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها. وحدوث هذه التصورات إنما هو بسبب إعانة الحواس على جزئياتها، فكانت الحواس الخمس هي السبب الأصلي لحدوث هذه العلوم، وكان السمع والبصر أول الحواس تحصيلا للتصورات وأهمها(٢).

وهذه العلوم نعمة من الله تعالى ولطف، لأن بها إدراك الإنسان لما ينفعه وعمل عقله فيما يدله على الحقائق، ليسلم من الخطأ المفضي إلى الهلاك والأرزاء العظيمة، فهي نعمة كبرى. ولذلك قال تعالى عقب ذكرها لعلكم تشكرون، أي هي سبب لرجاء شكرهم واهبها سبحانه(٣).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١٤، ص: ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق،ج: ١٤، ص: ٢٣٢، ٢٣٣.

إذن أستطيع القول بأن الفؤاد هو الإدراك المشخص بالحواس، وهو صاعق الفكر. فأصله من "فأد" الدال على حمى وشدة حرارة، يقال: فأدت اللحم أي شويته. والفأد مصدر فأدته أي أصبت فؤاده(١).

ومعنى ذلك أن الفؤاد هو إصابة الحقائق الناتجة عن حاستي العين والأذن، ووظائفهما السمع والبصر، فمن فقد الفؤاد سقط عنه التكليف، وصار شبيها بالحيوان. قال تعالى ﴿**وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ**﴾ الأعراف:١٧٩. قال القشيري: "الأنعام قد رفع عنها التكليف، وإن لم يكن لها وفاق الشرع فليس منها أيضا خلاف الأمر"(٢). وقال الزمخشري: "أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر"(٣).

وأخيرا:

فإن من اللطائف التي يمكن استخلاصها من بيان وظيفة السمع والبصر والفؤاد، أن المعلومات التي يتحصل عليها الإنسان من خلال وظيفة البصر أقل بكثير من المعلومات التي تأتي عن طريق وظيفة السمع، ومع كثرة المعلومات التي تأتي من خلال السمع والبصر إلا أنها لا تولد إدراكا، إلا إذا كانت وظيفة الفؤاد عاملة، فالفؤاد كما سبق هو الإدراك المشخص بالحواس.

وإذا قيل إن الحيوان له عين وأذن، وبالتالي له إدارك؟ فيجاب عن ذلك بأن الفرق بين إدراك الإنسان والحيوان، هو أن الحيوان لا يستطيع أن يربط

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: فأد (٤٦٩/٤).

(٢) لطائف الإشارات (٥٩٠/١).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل (١٨٠/٢).

بين الأسماء ومسمياتها، بخلاف الإنسان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾البقرة: ٣١.

قال الرازي: "الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة...وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به..."(١).

وقال ابن عاشور: " الاسم يقتضي مسمى وهذا من إيجاز الحذف وأما الأسماء فلا تعرض لأن العرض إظهار الذات بعد خفائها ومنه عرض الشيء للبيع ويوم العرض والألفاظ لا تظهر فتعين أن المعروض مدلولات الأسماء"(٢).

---

(١) مفاتيح الغيب (٤١١/١٥).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ١، ص: ٤١٢.

المبحث الرابع

الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم

الأحكام لا تتعلق إلا بالمكلف، والتكليف لا يكون إلا بالبلوغ، والبلوغ يقتضي الإدراك، والإدراك متعلق بإعمال وظائف السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾الإسراء:٣٦. قال الماوردي: "يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الإنسان هو المسئول عن السمع والبصر والفؤاد لأنه يعمل بها إلى الطاعة والمعصية. الثاني: أن السمع والبصر والفؤاد تسأل عن الإنسان ليكونوا شهودا عليه، وله، بما فعل من طاعة وما ارتكب من معصية"(١).

أولا: الأحكام المتعلقة بالسمع:

تعلق بوظيفة السمع عدد من الأحكام في القرآن الكريم، تقتضي الحفاظ عليه، والقيام بما أنيط به من حقوق وواجبات، فلا يسمع إلا ما يرضي الله تعالى، ويعود عليه بالنفع في الدنيا والآخر، فالفلاح مرتبط بذلك، قال تعالى ﴿**إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾النور:٥١. قال المراغي: "ينبغى أن يكون قول المؤمنين إذا دعاهم الداعون إلى حكم الله ورسوله فيما بينهم وبين خصومهم سمعنا كلامكم وأطعنا أمركم، وأولئك هم الفائزون بكل مطلوب، الناجون من كل مخوف"(٢).

---

(١) الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج: ٣، ص: ٢٤٣.

(٢) تفسير المراغي، المراغي،ج: ١٨، ص: ١٢٣.

وقال سيد قطب: " السمع والطاعة المستمدان من الثقة المطلقة في أن حكم الله ورسوله هو الحكم وما عداه الهوى النابعان من التسليم المطلق لله، واهب الحياة، المتصرف فيها كيف يشاء ومن الاطمئنان إلى أن ما يشاؤه الله للناس خير مما يشاءونه لأنفسهم. فالله الذي خلق أعلم بمن خلق"(١).

- **الحكم الأول: سماع الحق سماع قبول واستجابة:**

حث الحق تبارك وتعالى على سماع الحق وقبوله استجابة لأمره، فقال تعالى ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾الزمر:١٨.

وجه الدلالة

أثنى الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية على عباده المتقين، بأنهم يستمعون القول، ولكن مع هذا الاستماع لا يتبعون ولا يقبلون إلا أحسنه، قال الفيروز آبادي في معنى أحسنه أي "الأبعد عن الشبهة"(٢). وفسره الثعلبي بقوله: "أرشده وأهداه إلى الحق"(٣). وقال السمعاني في معنى: "الأحسن هو العفو، والانتصار على الظالم مذكور في القرآن، والعفو مذكور، والعفو أحسن الأمرين"(٤).

- **الحكم الثاني: ترك سماع الباطل إنكارا عليه:**

أمرنا الحق سبحانه بحفظ السمع من سماع واستماع الباطل سواء كان الباطل خوضا في آيات الله تعالى، أو لهوا للحديث، أو غيبة أو نميمة، قال تعالى ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾النساء:١٤٠.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج: ٤، ص: ٢٥٢٧.

(٢) بصائر ذوي التمييز (٦٨/٢).

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان (٢٢٧/٨).

(٤) السمعاني، تفسير القرآن (٤٦٤/٤).

وجه الدلالة

في هذه الآية نهي لجماعة المؤمنين عن سماع الاستهزاء بآيات الله، والقعود مع من يقومون بذلك، وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها وتهويل أمر الكفر بها، والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بـ "يكفر ويستهزأ" والضمير في غيره راجع إلى تحديثهم بالكفر والاستهزاء، وقيل: الكفر والاستهزاء لأنهما في حكم شيء واحد، فأوقع فعل السماع على الآيات والمراد به سماع الاستهزاء.

قال أبو بكر الجصاص: "في هذه الآية دلالة على وجوب إنكار المنكر على فاعله، وأن من إنكاره إظهار الكراهة إذا لم يمكنه إزالته، وترك مجالسة فاعله، والقيام عنه، حتى ينتهي ويصير إلى حال غيرها، فإن قيل فهل يلزم من كان بحضرته منكر أن يتباعد عنه، وأن يصير بحيث لا يراه ولا يسمعه، قيل له: قد قيل في هذا أنه ينبغي له أن يفعل ذلك، إذا لم يكن في تباعده وترك سماعه ترك الحق عليه، من نحو ترك الصلاة في الجماعة لأجل ما يسمع من صوت الغناء والملاهي، وترك حضور الجنازة لما معها من النوح، وترك حضور الوليمة لما هناك من اللهو واللعب، فإذا لم يكن هناك شيء من ذلك فالتباعد عنهم أولى، وإذا كان هناك حق يقوم به ولم يلتفت إلى ما هناك من المنكر وقام بما هو مندوب إليه من حق بعد إظهاره لإنكاره وكراهته"(١).

وقال ابن الجوزي: "والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا في حديث غير الكفر، والاستهزاء. إِنَّكُمْ إِن

---

(١) الجصاص، أبو بكر أحمد، أحكام القرآن، المحقق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٠٥هـ)، ج:٣، ص:٢٧٨.

جالستموهم على ما هم عليه من ذلك، فأنتم مِثْلُهُمْ"[١].

وقال المراغي: "وفى الآية دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يدل على التنقص والاستهزاء بالأدلة الشرعية والأحكام الدينية كما يقع من أسراء التقليد الذين استبدلوا آراء العلماء بالكتاب والسنة ولم يبق فى أيديهم إلا قال إمام مذهبنا كذا وقال فلان من أتباعه كذا"[٢].

- **الحكم الثالث: تحريم التجسس والتحسس.**

من الأحكام المتعلقة بالسمع: تحريم التجسس، بالجيم والحاء.

قال تعالى ﴿**ولا تجسسوا**﴾الحجرات:١٢. الجس فى اللغة المس باليد والتجسس تفحص الأخبار باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس[٣]. وهذه قراءة الجمهور (بالجيم) لكن ابن عباس، وأبو رجاء العطاردي وابن سيرين وغيرهم قرؤها (ولا تحسسوا) (بالحاء)، وفرق بينهما الأخفش على أن التجسس يكون لما يكتم، ويوارى، والتحسس يكون في البحث عن الأخبار[٤]. وقال ابن الجوزي والخازن: "التحسس بالحاء: الاستماع لحديث القوم"[٥].

ووجه النهي عنه لأنه ضرب من الكيد والتطلع على العورات. وقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة وذلك من نكد

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ط:١، ج:١، ص:٤٨٧.

(٢) تفسير المراغي، المراغي، ج:٥، ص:١٨٤.

(٣) المظهري، تفسير المظهري (٥٤/٩).

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان (٨٢/٩).

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير (١٥٢/٤). الخازن، لباب التأويل (١٨٢/٤).

العيش[١]. عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أتى برجل، فقيل له: هذا فلان، تقطر لحيته خمرا! فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به[٢].

- **الحكم الرابع: الامتناع عن سماع الفحش من القول:**

نهى الشارع الحكيم عن فحش القول والاستماع إليه، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿**فَلَا رَفَثَ**﴾البقرة:١٩٧. نهي عن قول الرفث، وإذا حرم قوله، حرم سماعه، والسكوت عنه. وهذا على قول من يقول بأن الرفث هو الفحش والقول القبيح[٣]. قال الزمخشري: "فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل. هو السباب والتنابز بالألقاب"[٤].

وقد أثنى الله على مؤمني أهل الكتاب بإعراضهم عن سماع اللغو والقول البذيء، فقال ﴿**وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**﴾القصص:٥٥.

قال المراغي: "أي وإذا سمعوا ما لا ينفع فى دين ولا دنيا، من السب والشتائم وتكذيب الرسول أعرضوا عن قائليه ولم يخالطوهم، وإذا سفه عليهم سفيه، وكلّمهم بما لا ينبغى رده من القول لم يقابلوه بمثله، إذ لا يصدر منهم إلا طيب الكلام"[٥].

- **الحكم الخامس: اشتراط السمع لتولي القضاء:**

من الأحكام المتعلقة بوظيفة السمع، اشتراط سلامتها لمن يتولي القضاء.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥٤/٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في النهي عن التجسس (٤٨٩٠). صححه الحاكم في المستدرك (٣٧٧/٤) ووافقه الذهبي.

(٣) البغوي، تفسير البغوي (٢٥١/١).

(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل (٢٤٣/١).

(٥) تفسير المراغي (٧٢/٢٠).

فيشترط فيمن يتصدى لأمر مهم من أمور المسلمين العامة كالإمامة والقضاء أن يكون سميعا، فلا يجوز تنصيب إمام أصم، ولا تعيين قاض لا يسمع(١).

إذن فإن السمع من أهم حواس الإنسان وأشرفها حتى من البصر كما عليه أكثر الفقهاء إذ هو المدرك لخطاب الشرع الذي به التكليف؛ ولأنه يدرك به من سائر الجهات، وفي كل الأحوال، أما البصر فيتوقف الإدراك به على الجهة المقابلة(٢).

ثانيا: الأحكام المتعلقة بالبصر:

تعلق بوظيفة البصر أحكام، تحفظ على الإنسان إدراكه، وتوازنه، وتدعوه إلى الرقي بحواسه من مصاف الحيوانية إلى المنزلة التي اصطفاه الله إليها وهي مصاف الآدمية، وما في الأرض من آيات ودلائل ففيها العبرة لأولي الأبصار، كما قال تعالى في سورتي آل عمران والنور، ففي آية آل عمران بعد أن ذكر الله تعالى حاسة العين في الرؤيا، أثناء الحديث عن نصر الله للفئة التي تقاتل في سبيل الله مقابل الفئة الكافرة، بين أن العبرة ليست لأولي الرؤى أو لأولي الأعين، بل ذيل الآية بقوله ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ**﴾آل عمران:١٣. أي الذين يستخدمون حواسهم في التفكر والتدبر فيما يدور حولهم.

وكذا الحال في سورة النور أثناء الحديث عن قدرة الله في تقلب الليل والنهار والآيات التي قبلها، بين أن من يعتبر ذلك هم أولوا الأبصار، قال تعالى ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ**﴾

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ج:٢٥،ص:٢٥٢.

(٢) الرملي، شمس الدين محمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤)، ط: أخيرة، ج:٧، ص:٣٣٤.

النور:٤٤. وجل المفسرين على أن أولي الأبصار هم أولو العقول[١]. قال ابن الجوزي في آية آل عمران: "العبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنه طريق يعبر به ويتوصّل به المراد. وقيل: العبرة: الآية التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى العلم. والأبصار: العقول والبصائر"[٢]، وقال في آية النور: "دلالة لأهل البصائر والعقول على وحدانيّة الله وقدرته"[٣].

- **الحكم الأول: غض البصر:**

من الأحكام المتعلقة بوظيفة البصر، الأمر بغضه، وقد سبق بيان أن الأحكام لا تتعلق بالحاسة والجارحة، "العين"، بل تتعلق بالوظيفة المنوطة بها وهي الإبصار، لذا حينما أمر الله المؤمنين والمؤمنات بالغض قرنه بالبصر وليس بالعين ولا بالنظر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...** ﴾، وقال تعالى ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ النور:٣٠، ٣١.

فالبصر هنا لا يختزل معناه على الرؤية فقط، بدليل ما عطف عليه من حفظ الفرج، والعطف بالواو الأصل فيه التغاير، وغض البصر يشمل أمورا كثيرة لا تقتصر فقط على رؤية النساء، بل الأمر في الآية عام، قال الثعلبي: " المؤمنون غير مأمورين بغض البصر أصلا، وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز "[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج:٧، ص:١٥٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج:٢، ص:٥١١، الكشف والبيان، الثعلبي، ج:٣، ص:٢٢.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ج:١،ص: ٢٦٤.

(٣) المرجع السابق، ج:٣، ص:٣٠١.

(٤) الكشف والبيان (٨٦/٧).

ولو اختزلنا معنى البصر في الرؤية بحاسة العين، لكان فيه تضييقا كبيرا على المؤمنين والمؤمنات، وتعطلت كثير من أمرهم وأمورهن، كما نشاهده الآن في بعض البلاد التي لا تتسع مداركها لفهم كلام الله والتدبر فيه إلا على ظواهر النصوص، وأكبر دليل ما نشاهده من منع الفتيات من التعليم في دولة أفغانستان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إذن علينا أن نتدبر في الأمر بغض البصر، وما دلالته حتى يستقيم الفهم، وتنتظم الحياة، فالبصر كما سبق أعمق من النظر والرؤية، إذ يشملهما مع تعمق الفكر والتدبر، ورحم الله ابن الجوزي إذ يقول: "لم يؤمروا بالغض مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما لا يحلُّ"(١).

وما لا يحل يشمل التفكر في السرقة والرشوة، والاستيلاء على الأموال العامة بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال اليتامى، فكل ذلك يدخل تحت غض البصر، والإقدام عليه حرام، أما ما يتبادر إلى الذهن أن غض البصر المراد به النساء، فإني أرى أن النظر إلى النساء إذا أتبعه فكر وتمعن، وأثار الغريزة، فالغض هنا مأمور به، ومن التناسب العجيب في آيات القرآن الكريم اختيار الفعل "يغضوا" وأصله غض إذ الغين والضاد أصلان يدل أحدهما على كف ونقص، والغضغضة: النقصان، ومنه غض البصر (٢). أي كفه على الرؤيا ونقصه عن التفكير، ومنه قوله تعالى "وغيض الماء" أي نقص(٣).

قال الطاهر بن عاشور: " ولما كان الغض التام لا يمكن جيء في الآية بحرف من الذي هو للتبعيض إيماء إلى ذلك إذ من المفهوم أن المأمور

---

(١)زاد المسير، ابن الجوزي، ج:٣، ص:٢٨٩.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج:٤، ص:٣٨٣.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج:٣، ص:١٧٥.

بالغض فيه هو ما لا يليق تحديق النظر إليه وذلك يتذكره المسلم من استحضاره أحكام الحلال والحرام في هذا الشأن فيعلم أن غض البصر مراتب: منه واجب ومنه دون ذلك، فيشمل غض البصر عما اعتاد الناس كراهية التحقق فيه كالنظر إلى خبايا المنازل، بخلاف ما ليس كذلك"(١).

قال الرازي: " يجوز النظر إلى وجهها وكفها، واعلم أنه على ثلاثة أقسام: لأنه إما أن لا يكون فيه غرض ولا فيه فتنة، وإما أن يكون فيه فتنة ولا غرض فيه، وإما أن يكون فيه فتنة وغرض، أما القسم الأول: فاعلم أنه لا يجوز أن يتعمد النظر إلى وجه الأجنبية لغير غرض وإن وقع بصره عليها بغتة يغض بصره، لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**... ﴾ وقيل يجوز مرة واحدة إذا لم يكن محل فتنة، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله ولا يجوز أن يكرر النظر إليها لقوله تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا**﴾الإسراء:٣٦.

وقال القشيري: " «يَغُضُّوا»: من أبصار الظواهر عن المحرّمات، ومن أبصار القلوب عن الفكر الرّدّية، ومن تصوّر الغائبات عن المعاينة»(٢).

وقال المراغي: "قل أيها الرسول للمؤمنين كفّوا أبصاركم عما حرم الله عليكم، ولا تنظروا إلا ما يباح لكم النظر إليه، فإن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرفوا أبصارهم عنه سريعا لما رواه مسلم عن عبد الله البجليّ قال: «**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي**»(٣)، وروى أبو داود أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال لعلى: «**يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ**

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج:١٨، ص:٢٠٣.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري، ج:٢، ص:٦٠٦.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الآداب باب نظر الفجاءة (٢١٥٩).

الْآخِرَةُ»[١]، وفى الصحيح عن أبى سعيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: «إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ»**[٢]. والحكمة فى ذلك: أن فى غض البصر سدا لباب الشر، ومنعا لارتكاب المآثم والذنوب[٣].

وحتى يقطع ربنا سبحانه وتعالى على التفكير بابه فيما لا يحل له، نهى نبيه صلى الله عيه وسلم أن لا يمد عينيه، فجاء بلفظ الحاسة والجراحة، كما في سورة طه، ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ**﴾طه:١٣١. والمراد بالأزواج ليس الزوجات من النساء، وإنما المراد بها الأشكال، مأخوذ من المزواجة. كما قال غير واحد من المفسرين[٤]. ورحم الله الزمخشري إذ يقول: "وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه"[٥]. قلت: يعني المقطوع عن التفكير.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر (٢١٤٩)، والترمذي أبواب الأدب باب ما جاء في نظر الفجاءة (٢٧٧٧). وقال حديث غريب.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الاستئذان باب منه (٦٢٢٩)، ومسلم كتاب اللباس والزينة باب النهي عن الجلوس في الطرقات (٢١٢١).

(٣) تفسير المراغي، المراغي، ج: ١٨، ص: ٩٨.

(٤) منهم الطبري، جامع البيان، ج: ١٦، ص: ٢١٤، والماوردي، النكت والعيون، ج:٣، ص: ٤٣٣، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج: ٤، ص: ٤٣ وغيرهم.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، ج: ٣، ص: ٩٨.

- **الحكم الثاني: توجيه البصر في الصلاة:**

من الأحكام المتعلقة بوظيفة البصر ،توجيهه في الصلاة،قال تعالى﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ المؤمنون:٢.

فالخشوع في القلب والبدن والبصر والصوت[١]. قال الألوسي في دلالة الآية السابقة: "ترك رفع البصر إلى السماء وإن كان المصلي أعمى وقد جاء النهي عنه"[٢].

وعليه فقد أجمع العلماء على غض البصر في الصلاة عما يلهي، وكراهة رفعه إلى السماء، بل يستحب للمصلي النظر إلى موضع سجوده إذا كان قائما، ويستحب نظره في ركوعه إلى قدميه، وفي حال سجوده إلى أرنبة أنفه، وفي حال التشهد إلى حجره. ويستثنى من ذلك صلاة الخوف؛ والعدو تجاه القبلة، فيوجه النظر إلى جهته، وهذا مذهب السادة الأحناف، ورواية للحنابلة[٣]، وقول عند الشافعية[٤].

أما السادة الحنابلة: فموضع النظر عندهم في جميع الصلوات يكون موضع السجود [٥].

أما السادة المالكية: فيرون أن رفع البصر إلى السماء في الصلاة إن كان للموعظة والاعتبار بآيات السماء فلا يكره[٦].

---

(١) تفسير البغوي (٤٠٨/٥).

(٢) روح المعاني (٢٠٧/٩).

(٣) حاشية ابن عابدين (٣٢١/١)، ابن قدامة، المغني (٨/٢، ٩، ١١).

(٤) النووي، المجموع شرح المهذب (٢٤٩/٣).

(٥) ابن قدامة، المغني (٨/٢، ٩، ١١).

(٦) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي (٢٥٤/١).

- **الحكم الثالث: حكم رفع البصر إلى السماء في الدعاء خارج الصلاة:**

نص الشافعية على أن الأولى في الدعاء خارج الصلاة رفع البصر إلى السماء، وقال الغزالي منهم: لا يرفع الداعي بصره إليها(١).

- **الحكم الرابع: الجناية على البصر:**

اتفق فقهاء المذاهب على وجوب القصاص من الجاني عمدا على البصر، إذا أدت جنايته إلى إذهاب البصر – وذلك بإذهاب بصر الجاني إن أمكن بوسيلة ما برأي أهل الخبرة – فإن لم يمكن القصاص، وجبت الدية اتفاقا في مال الجاني. وكذلك تجب الدية في إذهاب البصر خطأ، وتكون على العاقلة(٢).

وهناك جملة من الأحكام تتعلق بوظيفة البصر، منها: اشتراط البصر في الشاهد، وشهادة الأعمى وتحمله وأدائه، واشتراطه واستدامته فيمن يتولى القضاء، ونفاذ حكم قاض طرأ العمى عليه، وتوجيه البصر في الصلاة، ورفع البصر إلى السماء في الدعاء في غير الصلاة، وما يجوز النظر إليه ممن يراد خطبتها، وغض البصر عما حرمه الله. ويفصل الفقهاء أحكام ذلك في مباحث (الجنايات، والديات، والشهادة، والقضاء، والصلاة، والنكاح). ولا يسع المقام للحديث عنها هنا(٣).

---

(١) الرملي، نهاية المحتاج (١/١٨٠، ٤٨٦)، (٢/٥٥). زكريا الأنصاري، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (١/٣٣١).

(٢) ينظر: حاشية ابن عابدين (٥/٣٥٤، ٣٦٩ – ٣٧١)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤/٢٥٣)، نهاية المحتاج (٧/٢٧٢)، كشاف القناع (٥/٥٤٩).

(٣) ينظر في تفصيل ما سبق، الموسوعة الفقهية الكويتية (٨/٩٨-١٠١).

الأحكام المتعلقة بالفؤاد

الفؤاد هو أساس حياة الإنسان، عليه يعتمد في كل أعماله، وأحواله، ومنه تتبع كل قواه، وحركاته، وهو آلة خارقة.

والفؤاد تتعلق به كل الأحكام الشرعية، إذ هو محط التكليف، وبدونه تسقط، ووردت الأحكام المتعلقة بالعقل في أبواب من كتب الفقه، وبيان ذلك فيما يأتي:

- **الحكم الأول: العقل مناط التكليف:**

أجمع الفقهاء على أن العقل هو مناط التكليف في الإنسان، فلا تجب عبادة من صلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو غيرها على من لا عقل له كالمجنون وإن كان مسلما بالغا، لقوله صلى الله عليه وسلم: " **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ**"(١).

كما أجمعوا على أن غير العاقل لا تعتبر تصرفاته المالية، فلا يصح بيعه، ولا إيجاره ولا وكالته أو رهنه، ولا يصح أن يكون طرفا في أي عقد من العقود المالية وغير المالية كالنكاح والخلع والصلح والضمان والإبراء وسائر العقود والفسوخ، ولا اعتبار لأقواله، ولا تؤخذ عليه ولا له، فلا يصح منه إسلام ولا ردة، ولا طلاق ولا ظهار، ولا يعتمد إقراره في النسب أو المال أو غيرهما، ولا شهادته أو خبره.

كما أجمعوا على أن فاقد العقل من الناس تسلب منه الولايات، سواء كانت عامة أو خاصة، وسواء كانت ثابتة: له بالشرع كولاية النكاح، أو

---

(١) أخرجه ابو داود كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا (٤٣٩٨)، وحسنه الترمذي في سننه أبواب الحدود كتاب باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد (١٤٢٣).

بالتفويض كولاية الإيصاء والقضاء؛ لأنه إذا لم يل أمر نفسه فأمر غيره أولى[١].

- **الحكم الثاني: الفقه عن الله.**

من الأحكام المتعلقة بالفؤاد –العقل– الفقه عن الله تعالى، لأنه سبيل الاستدلال على معرفة مراد الله من أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وبفقدانه أو تعطيله يسوء فهم مراد الله ورسوله، والشأن كل الشأن في الفقه عن الله ورسوله ومعرفة مواقع خطابه.

لذا عاب الحق سبحانه على المنافقين بسبب سوء فهمهم وتذبذب أفكارهم واضطرابها أنهم لا يفقهون، فقال ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ**﴾النساء:١٤٣. فسوء فقههم عن الله جعلهم متحيرين مضطربين، والمتذبذب هو القلق الذي لا يثبت ولا يتمهل. فهؤلاء المنافقون مترددون بين المؤمنين والمشركين، لا مخلصين الإيمان ولا مصرحين بالكفر[٢].

فوصفهم الحق سبحانه بقوله ﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ**﴾المنافقون:٧. لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه عز وجل، أن بيده الأرزاق يؤتيها من يشاء من عباده ويمنعها عمن يشاء...لذلك يقولون من مقالات الكفرة[٣].

- **الحكم الثالث: عواقب إهمال العقل:**

من الأحكام المتعلقة بالفؤاد–العقل– ما يترتب على تعطيله من عقاب الله تعالى في الآخرة، فمن أهمل عقله ولم يتدبر في أوامر الله ونواهيه فعقابه

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ج: ٣٠، ص: ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب (٢٥٠/١١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤٢٤/٥).

(٣) الألوسي، روح المعاني (٣١٠/١٤)، عبد القادر العاني، بيان المعاني (١٩٧/٦).

كما قال تعالى ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾الملك: ١٠.

فلسان حال هؤلاء يقول: لو كان عندنا سمعا أو عقلا ينتفع به ويغني شيئا لآمنا ولم نستوجب الخلود في السعير، لكن يقال لهم وقت لا ينفع القول: من سمع بالحقّ سمع كل ما يقال عن الحق من كل من يقول عن الحق[١]. لكنكم أبيتم سماعه ورغبتم عن تعقله فاستحققتم أن تكونوا من أصحاب السعير.

(١) القشيري، لطائف الإشارات (٦١٢/٣).

الخاتمة

أهم النتائج:

١) السمع: هو عبارة قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ.

٢) البصر: هو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجامدية من أشباح صور الأجسام بتوسط المشف.

٣) الفؤاد هو الإدراك المشخص بحاستي السمع والبصر، أو هو صاعق الفكر لأن محله العقل.

٤) ذكرت وظيفة السمع ومشتقاتها في القرآن الكريم ١٤٥ مرة.

٥) ذكرت وظيفة البصر ومشتقاتها في القرآن الكريم ١٤٨ مرة.

٦) اجتمع السمع والبصر في ٣٨ آية، وترافق الصمم مع العمى في ثمان آيات.

٧) اقترنت الوظائف الثلاث "السمع، والبصر، والفؤاد" في ست آيات جاء السمع فيها مفردا والبصر جمعا، وكذا الفؤاد، إلا في آية الإسراء.

٨) الآيات التي ذكرت الأعضاء "الأذن، والعين" وردت في محتوى يناسبها وجنسها دون التعرض للوظائف.

٩) تختلف حاسة العين عن حاسة الأذن من ناحية النمو، فحاسة العين ضعيفة جدا عند الولادة، حتى لا تكاد معدومة.

١٠) الفرق بين إدراك الإنسان والحيوان، هو ربط الأسماء بمسمياتها.

١١) تتعلق بوظائف السمع، أحكام منها: حرمة سماع الباطل من اللهو والغناء، تحريم التجسس والتحسس، تحريم سماع الفحش من القول. يشترط فيمن يتولى القضاء سلامة وظيفة السمع لديه.

١٢) تتعلق بوظائف البصر، أحكام منها: الأمر بغض البصر عما حرمه الله تعالى، توجيه البصر في الصلاة، واختلاف أماكنه في أركان الصلاة. والجناية على البصر.

١٣) الفؤاد هو أساس حياة الإنسان، وعليه يعتمد في كل أعماله، وأحواله، ومنه تتبع كل قواه، وحركاته، وهو آلة خارقة.

١٤) تتعلق بالفؤاد كل الأحكام الشرعية، إذ هو محط التكليف، وبدونه تسقط .

ثبت المصادر والمراجع:

- الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٤١٢هـ). ***المفردات في غريب القرآن***. الطبعة: الأولى. المحقق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: الدار الشامية.
- ***أقوال المفسرين والخبير الأطباء عن ترتيب ذكر كلمات "السمع والبصر والفؤاد***. بحث منشور على شبكة الانترنت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري***. الطبعة: الأولى. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. مصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي).
- البيضاوي، أبو سعيد عبدالله. (١٤١٨هـ). ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***. الطبعة: الأولى. المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الترمذي، أبو عيسى محمد. (١٣٩٥هـ). ***سنن الترمذي***. ط:٢. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد. (٢٠٠). ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***. الطبعة: الأولى. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، علي بن محمد. (١٩٨٣). ***التعريفات***. الطبعة الأولى. المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجزري، ابن الأثير المبارك. (١٣٩٩هـ). ***النهاية في غريب الحديث والأثر***. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.
- الجصاص، أبو بكر أحمد. (١٤٠٥هـ). ***أحكام القرآن***. المحقق: محمد صادق القمحاوي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن. (١٤٢٢هـ). ***زاد المسير في علم التفسير***. الطبعة: الأولى. المحقق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن جوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (١٤٢٢هـ). ***زاد المسير في علم التفسير***. الطبعة: الأولى. المحقق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٨٧). ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***. ط:٤. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.
- خالص جلبي كنجو. (د.ت). ***الطب محراب الإيمان***.
- الخلوتي، إسماعيل حقي. (د.ت). ***روح البيان***. بيروت: دار الفكر.
- الرازي، أبو عبدالله محمد. (١٩٩٩). ***مختار الصحاح***. ط:٥. المحقق: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية.
- الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢٠هـ). ***مفاتيح الغيب***. ط:٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الرملي، شمس الدين محمد. (١٩٨٤). ***نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج***. ط: أخيرة. بيروت: دار الفكر.
- الزبيدي، محمد بن محمد. (د.ت). ***تاج العروس***. المحقق: مجموعة من المحققين. بيروت: دار الهداية.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (١٤٠٧هـ). ***الكشاف عن حقائق التنزيل***. ط:٣. بيروت: دار الكتاب العربي.
- السجستاني، أبو داود سليمان. (د.ت). **سنن أبي داود**. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.
- سيد قطب. (١٤١٢هـ). ***في ظلال القرآن***. ط:١٧. بيروت: دار الشروق.

- سيف الدين. (٢٠٠٩). ***تشريح جسم الإنسان لطلاب التمريض***. جاكرتا: ساليمبا مديك.
- الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). ***تفسير الشعراوي***. مصر: مطابع أخبار اليوم.
- صادق الهلالي. (٢٠٠٦). **الإعجاز في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم**. الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- صالح بن أحمد رضا. (٢٠٠١). ***الإعجاز العلمي في السنة النبوية***. الرياض: مكتبة العبيكان.
- صالح بن أحمد رضا. (د.ت). ***الإعجاز العلمي في السنة النبوية***.
- الطبري، أبو جعفر محمد. (١٤٢٠هـ). ***جامع البيان في تأويل القرآن***. الطبعة: الأولى. المحقق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). ***التحرير والتنوير***. تونس: الدار التونسية.
- العسكري، الحسن بن عبدالله. (١٤١٢هـ). ***معجم الفروق اللغوية=الفروق اللغوية***. المحقق: الشيخ بيت الله بيات. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (١٤٢٢هـ). ***المحرر الوجيز***. الطبعة: الأولى. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- القزويني، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). ***مقاييس اللغة***. المحقق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). ***لطائف الإشارات = تفسير القشيري***. ط:٣. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب. (د.ت). ***الكليات***. المحقق: عدنان درويش – محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الماوردي، أبو الحسن علي. (د.ت). ***تفسير الماوردي = النكت والعيون***. المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الماوردي، أبو الحسن علي. (د.ت). ***النكت والعيون***. المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). ***تحفة الأحوذي***. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المراغي، أحمد بن مصطفى. (١٣٦٥هـ). ***تفسير المراغي***. الطبعة: الأولى. (د.م).
- المراغي، أحمد بن مصطفى. (١٩٤٦). ***تفسير المراغي***. الطبعة: الأولى. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.
- مسلم، مسلم بن الحجاج. (د.ت). ***المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم***. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- النسفي، أبو البركات عبدالله. (١٩٩٨). ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل***. الطبعة: الأولى. تحقيق: محيي الدين ديب مستو. بيروت: دار الكلم الطيب.
- النووي، يحيى بن شرف. (١٣٩٢هـ). ***المنهاج شرح مسلم بن الحجاج***. ط:٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. (١٤٢٧هـ). ***موسوعة الفقهية الكويتية***. ط:٢. الكويت: دار السلاسل.

فهرس الموضوعات

الموضوع
ملخص البحث
المقدمة
المبحث الأول: مفهوم السمع والبصر والفؤاد في اللغة والاصطلاح
المبحث الثاني: العلاقة بين السمع والبصر والفؤاد
المبحث الثالث: وظائف السمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم
العين
الأذن
وظيفة السمع
وظيفة البصر
وظيفة الفؤاد
المبحث الرابع: الأحكام المتعلقة بالسمع والبصر والفؤاد في القرآن الكريم
الأحكام المتعلقة بالسمع
الحكم الأول: سماع الحق سماع قبول واستجابة
الحكم الثاني: ترك سماع الباطل إنكارا عليه
الحكم الثالث: تحريم التجسس والتحسس
الحكم الرابع: الامتناع عن سماع الفحش من القول
الحكم الخامس: اشتراط السمع لتولي القضاء
ثانيا: الأحكام المتعلقة بالبصر
الحكم الأول: غض البصر

الحكم الثاني: توجيه البصر في الصلاة
الحكم الثالث: حكم رفع البصر إلى السماء في الدعاء خارج الصلاة:
الحكم الرابع: الجناية على البصر
الأحكام المتعلقة بالفؤاد
الحكم الأول: العقل مناط التكليف
الحكم الثاني: الفقه عن الله
الحكم الثالث: عواقب إهمال العقل
الخاتمة
أهم النتائج
ثبت المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات